# أبعاد فلسفة التاريخ عند جامباتيستا فيكو

## *Dimensions of Gambattista Fico's Philosophy of History*

د. بن زينب شريف*
جامعة الدكتور يحيى فارس المدية ، (الجزائر) Benzineb.cherif@univ-medea.dz.

تاريخ الاستلام: 2021/04/25 تاريخ القبول: 2021/05/21 تاريخ النشر: 2021 /06/05

**ملخص:**

لا تتوقف وظيفة فلسفة التاريخ عند الوصف أو تحليل مضامين الأحداث والوقائع التاريخية كما هي أو كما حدثت بالفعل وإنما هو علم بالقوانين والمبادئ التي تحكم التاريخ وتتحكم في صيرورته لذلك فإن فلسفة التاريخ عبارة عن النظر الى الوقائع التاريخية بنظرة فلسفية نقدية استقرائية، مع محاولة الوقوف العوامل الأساسية التي تتحكم في سير الوقائع التاريخية، وابراز العوامل الأساسية الكامنة وراء حركة التاريخ ، إذ لا تتقصى الفلسفة أحداث التاريخ في ضوء ما حدث وما وقع من أجل تبرير طبيعة الحدث التاريخي وفقط، وإنما هي تبحث وتتساءل في القوانين والعلل القصوى التي تحدد مسار التاريخ. إن دراسة التاريخ والاهتمام به أمر لابد منه، ولكن ما لا يجب إغفاله أن دراسة التاريخ من الناحية المنهجية تبقى عديمة الجدوى إذا لم تطعم هذه الدراسة بنظرية فلسفية تضبطها منهجيا ومعرفيا حتى تحمل النتائج صبغة منطقية ، فالفلسفة هي التي تنسق التاريخ وتبنيه وتعطيه اللحمة التي يحتاجها، وبلا فلسفة نستطيع أن ننكر وجود التاريخ » ، فمن المستحيل تجاهل الفلسفة عند دراسة التاريخ ونقد أحداثه، فيكفي أن ننتهج النقد حتى نبدأ في التفلسف،

ينظر إلى جامباتيستا فيكو رائد فلسفة التاريخ في أوروبا وهذا من خلال كتابه العمدة العلم الجديد، الذي ضمنه نظريته المتبلور حول فكرة الحركة اللولبية التي تحكم حركة تاريخ الشعوب، مع التأكيد على المرحلة الثلاثية التي تمر بها المجتمعات.

**كلمات مفتاحية:** الفلسفة، التاريخ، فلسفة التاريخ، التطور، الوعي، المجتمع.

**Abstract:**

The study of history and attention to it is a must, as it is the memory of societies, and the map of their future, but what should not be overlooked is that studying history from a methodological point of view remains useless if this study does not feed a philosophical theory that controls it systematically and cognitively so that the results carry an acceptable logical character. To replace philosophy and to impose on people a wisdom drawn from facts without philosophy, for it is the latter that coordinates and adopts history and gives it the cohesion it needs. It is impossible to ignore philosophy when studying history and criticizing its events, so it is sufficient for us to pursue criticism until we start philosophizing, for philosophical concepts are necessary To understand the movement of history and explain its events. History without philosophy does not guarantee a sound and logical vision without a rational explanation, just as philosophy without a historical dimension lacks the temporal dimension without which the sound vision is absent.



المنارة للاستشارات
ww

Gambattista Vico considers the pioneer of the philosophy of history, and this through his book The Mayor, the new science that carried his view of the concept of history and his lobby movement that he pursues in Crystallizing the history of the people, for this reason, Fico is often seen as the founder of the philosophy of history Pametaz

**Keywords:** Philosophy, history, philosophy of history, evolution, consciousness, society..

*المؤلف المرسل

## 1. مقدمة:

إذا كانت الإلهيات، والمنطق، والطبيعيات القاسم المشترك بين الحضارات القديمة، فإن فلسفة التاريخ صناعة غربية بامتياز، حيث عملت الحضارة الأوروبية على إقامة القطيعة بين الديني والدنيوي، أو بين علوم الإله وعلوم الإنسان، ليظهر ما يعرف بالعلوم الإنسانية، علوم أعادت التمركز للإنسان وسط الوجود، فهو محور الدراسة المبدأ وغاية، ليتحول الاهتمام من الله إلى الإنسان[1].

بعد هذا التحول من الله إلى الإنسان، ظهر ما يعرف بفلسفة التاريخ، فلسفة اهتمت بالإنسان و بحياته وتطوره وتأثيره وتأثره في هذا الوجود، وعلاقاته مع باقي الشعوب و الأمم، ليصبح التاريخ والإنسان مترابطان ترابطا طرديا، فقبل هذا يمكنا القول أن الإنسان كان فاقدا لتاريخه، حيث كان « الإنسان عند سقراط روحا خالدة بلا تاريخ، وكان التاريخ عند أفلاطون تاريخا أسطوريا، وعند أرسطو تاريخا طبيعيا، وعند أوغسطين تاريخ ملكوت السموات، تاريخ الأنبياء»[2] ، فالإنسان كان على هامش الوجود ، وكأنه مع فلسفة التاريخ أعاد الاعتبار لنفسه ومعنى لوجوده وكينونته، واكتشاف وعيه في التاريخ.

كان القرن الثامن عشر، عصر ظهور فلسفة التاريخ، عصر زادت فيه الحاجة إلى فهم حركة المجتمعات وأسباب تطورها وتدهورها، والتساؤل عن مصير البشرية وسؤال النهايات، مع التطور الحاصل في هذا العصر أصبح ينظر إلى أن البشرية قد بلغت مرحلة الكمال بحيث يمكنها الاستغناء عن الآلهة و الأبطال، بالإنسان يمتلك مصيره عندما يمتلك وعيه، وكأن مع ظهور فلسفة التاريخ ووعي الإنسان لإنسانيته يمكننا القول أن هذا العصر عصر ظهور الإنسان إن صح التعبير.

تعد نظرية البطل في التاريخ، من النظريات التي كانت منذ العصر الحديث موضوع جدل بين فلاسفة التاريخ، ولكن ما يجب الإشارة له أن هذه الفكرة ليست مستجدة، ولكن تعود جذورها إلى الحقبة اليونانية والرومانية، حيث أخذت حيزا من اهتمام المفكرين والفلاسفة، وتعتبر فكرة من يصنع التاريخ؟ حجر الزاوية في هذا النقاش. فصناعة التاريخ هل هي سمة فردية خاصة بالبطل، أما تعود هذه الصناعة إلى المجتمع ؟



المنارة للاستشارات
ww

## 2. فلسفة التاريخ عند فيكوVico

### 1.2 العلم الجديد لفيكوVico:

يعتبر فيكو واضع لبِنات فلسفة التاريخ الأول، ولكن لم يعرف خارج إيطاليا إلا بعد ظهور ترجمات لكتابه " العلم الأول" الصادر سنة 1725، ترجمة ألمانيا سنة 1822و ترجمة فرنسية سنة1827. فيكو من بين الفلاسفة الذين اهتموا بنظرية البطل من خلال كتابه العلم الجديد المتضمن لثلاثة مواضيع رئيسة « الأصول والمبادئ، والمناهج»[3].

جامباتيستا ڤيكو (1668-1744 **Giambattista Vico** (فيلسوف تاريخ ومنظّر قانوني إيطالي، ولد في نابولي ومات فيها من أهم مؤلفاته «انفعالات يانس» (1693)، «الكتاب الميتافيزيقي» (1710) «القانون الكلي» (17221720). كما نشر طائفة من الخطب والرسائل دار معظمها حول الحقوق الطبيعية منها: «تاريخ الحقوق الرومانية اشتقاق الكلمات اللاتينية». وقد جمع ما كتبه من مسائل تاريخية في كتاب سماه «العلم الجديد» (1744.1725) ويضم كتباً خمسة: الأول في الأسس والمبادئ، والثاني في الحكمة الشعرية، والثالث في حقيقة هوميروس، والرابع في المجرى الذي يسير فيه تاريخ الأمم، والخامس في عودة الانقلابات وتكررها عند انبعاث الأمم بعد انقراضها، كما اشتغل استاذا للبلاغة اللاتينية في جامعة نابولي بإيطاليا.

يعتبر كتاب " العلم الجديد: مبادئ علم جديد مختص بالطبيعة المشتركة للأمم " كتابه العمدة، و إن تم تحوير العنوان عديد المرات ليصبح على هذا الشكل. على واجهة الكتاب مقابلا للعنوان وضح رسما رمزيا يتمثل في مذبح تعلوه كرة، حيث الكرة على حافته لا يسندها أي شيء، وعلى الكرة تقف امرأة مجنحة الرأس، رسم يرمز إلى تلك النظرة الأحادية للواقع[4] ، وكأن الرسم يشير إلى ذلك التجاهل الذي مارسه الفلاسفة اتجاه الواقع، ولم تعمل على فهمه، لهذا يقول فيكو:« لا يمكن للمرء أن يعرف إلا ما خلقه هو بنفسه، ويجعل منه الخيط الرئيسي لفلسفته، غير أنه يضفي عليه هيئة غريبة، إن ما خلقه الناس بأنفسهم، وما ينبغي أن يكون إذن موضوع المعرفة السامي، أي الخلق يعبر جوهر الطبيعة البشرية، جوهر الروح... لهذا يعلن فيكو عن مشروعه فيقول:« هذا العلم يسلك مثل الهندسة التي تخلق بنفسها عالم المقاييس وذلك بإنشائه واعتباره وفقا لعناصرها الخاصة، لكنه من الواقعية بمقدار ماهي عليه القوانين المتعلقة بالقضايا البشرية من واقعية تفوق النقاط والخطوط والمساحات والأشكال[5].

يختلف فيكو مع ديكارت بخصوص المنهج، حيث يرى أن المنهج الرياضي الديكارتي، الذي أعلن من شأنه ديكارت واعتبر باقي العلوم مجرد ترف فكري، أن المنهج المطبق يختلف من حيث الموضوع المدروس، فعلم الطبيعيات غير علم التاريخ لهذا « فبالنسبة إلى العلوم الطبيعية فإن المؤرخ يستطيع



المنارة للاستشارات
ww

أن يصل إلى الحقيقة لا يبلغها العالم، لأن الحقيقة في الطبيعة برانية ظاهرية، لأن الظواهر ليست من صنع الإنسان، أما التاريخ فالموضوع فهو الإنسان حيث يدرس المؤرخ تعبيرات الإرادة الإنسانية، ومن ثم يستطيع المؤرخ من خلال إنسانيته أن يستوعب أفعال الإنسان و أن يفهمها ويتآلف معها »[6] .

يقول فيكو عن التأثير الديكارتي على المفكرين خلال تلك الحقبة:« لقد خَدَّرَ الفلاسفة العقول بمنهج ديكارت زاعمين أنهم مهتدون، بإدراكهم الواضح والمتميز، وبلا تكاليف أو تعب، إلى كل ماهو مختزن في المكتبات... ولقد صار لديكارت أتباع كُثر بفضل هذا الضعف في الطبيعة البشرية التي تبغي أن تعرف كل شيء في أقصر زمن وأقل جهد»[7] ، انتقاد وجهه فيكو للديكارتيين المعتقدين بتلك الطريقة السهلة للتفلسف، تأثر كان نقمة على الديكارتية.

يرى فيكو أن التاريخ كعلم جديد يقوم على فكرة الإنسان صانع التاريخ، وهذا ما يجعل المعرفة التاريخية ممكنة، والوصول إلى الحقيقة ممكن جد بقدر ماهي ممكنة في العلوم الطبيعية والعلوم الصورية لهذا« فالمبدأ الأول الثابت يفترض أن الإنسان هو الذي صنع الأمم، وأن التاريخ أكثر يقينا عندما يرويه صانع الأحداث نفسها، وهكذا ينطبق على هذا العلم ما ينطبق على علم الهندسة وهو أنه يقوم على أساس ما وضعه من مبادئ، ومع ذلك فإن التاريخ بمفهوم العلم الجديد أكثر واقعية من علم الهندسة؛ لأن التنظيمات الاجتماعية والإنسانية أكثر واقعية من النقاط والسطوح والأشكال[8] »،

على نفس نظرية الأوهام عند فرانسيس بيكون( **Francis Bacon** 1561-1626 )في كتابه" الأرجانون الجديد"، يضع فيكو مجموعة من الأوهام التي قد يقع فيها المؤرخ، فتكون عائق عند دراسته للتاريخ، لهذا يحدد الأوهام على شكل مسلمات[9]:

- المسلمة الأولى: "العقل الإنساني يجعل من نفسه مقياسا للحكم على الأشياء جميعا كلما ضل في الجهل."
- المسلمة الثانية: "حكم العقل البشري على الأمور المجهولة والبعيدة على أساس الأمور المألوفة له والقريبة منه."
- المسلمة الثالثة: "وقعت الأمم في الخطأ عندما تصور كل منها- كما يقول المؤرخ ديدروس الصقلي- أن تاريخ العالم يبدأ مع بداية تاريخ شعبه وأمته، وأنها سبقت جميع الأمم في اكتشاف أسباب الراحة والترف للإنسان."
- المسلمة الرابعة:" وقع الباحثون في نفس الخطأ عندما بالغوا في تصوير الحكمة الفذة لبعض الشعوب القديمة". مسلمات أعاد الأستاذ أحمد محمود صبحي صياغتها في كتابه" في فلسفة التاريخ" على الشكل الآتي:»
- وهم التهويل والتفخيم: يعمل المؤرخ على تمجيد ماضي أمته خصوص جوانب المجد والقوة والثراء، وهم يقابله وهم القبيلة عند بيكون. لهذا فقيمة الفترة التاريخية لأمة مان لا يقاس بمدي إنجازاته وقوتها، ولكن يقاس بمدى بالدور الذي تلعبه في حركة التاريخ العام للإنسانية.



المنارة للاستشارات
ww

- وهم الثقافة الأكاديمية: يرجع هذا التوهم إلى الثقافة التي يمتلكها المؤرخ، كونه أكاديمي، حيث يتصور شخصيات التاريخ على أن لها كل التأثير في أحداث التاريخ ومصائر الشعوب فقط لأنها تمتلك العلم والمعرفة، ولكن ما يغفل عنه قد يصنع التاريخ من يكون قليل التعلم والمعرفة ، وهذا الوهم يقابل وهم الكهف عند بيكون.
- وهم المصادر: أو ما يعرف بالتأثير والتأثر، حيث يرى المؤرخ تشابه نظامين فيحكم أنه لابد أن يكون أحدهما قد تأثر واقتبس من الآخر، وهنا نجد ذلك الإنكار والإقصاء الممارس على الطاقات الإبداعية للعقل الإنساني.
- وهم الاقتراب: في هذا الوهم يكون المؤرخون أكثر اعتقادا أن من سبقهم من المؤرخين أكثر علما ودراية بالعصور القريبة منهم، ويعود هذا الوهم إلى الاعتقاد أن التاريخ مثل ذاكرة الإنسان كلما كان موضوع التذكر أقرب، كلما كان ثباتا في الذاكرة واكثر وضوحا»[10]

### 2.2 التاريخ عند فيكو:

إن موضوع التاريخ بشكل عام هو دراسة الماضي الإنساني من أجل أخذ العبر والاستفادة منها في الحاضر، إذ هو كل ما حدث في الواقع من أحداث وهو لا يتعلق بالحدث وفقط بل يشمل كذلك أثاره المختلفة أي كل ما ينتج عنه من مخلفات سواء مادية أو روحية، ولذلك فهو لا يختص بجانب واحد من جوانب الإنسان، لأن المؤرخ الذي يدرس الظاهرة التاريخية والحدث التاريخي يسعى إلى استقصاء كل الجوانب التي يمكن أن تعرفه بموضوع دراسته، ومن هنا يمكن القول أن "التاريخ معرفة ذاتية لذهن حي ومع أن وقائعه ماضية فإنها يجب أن تبقى حية في ذهن المؤرخ، ولا يعترض على ذلك بكون الواقعة غير ماثلة أمامه لأن الدليل عليها قائم "هنا" والآن فليس موضوع التاريخ هو الماضي ولكنه الماضي الذي نملك عليه دليلا تاريخيا والذي يصبح بعد ذلك حيا في ذهن مؤرخ يعيش في الحاضر، وهكذا يصبح التاريخ حدسا وليس مجرد فكر"[11] .

وعليه فإن الهدف من فلسفة التاريخ لا يقف عند الوصف أو تحليل مضامين الأحداث والوقائع التاريخية كما هي أو كما حدثت بالفعل، أو عماية سردية للوقائع، بل على العكس من ذلك تماما وإنما هو الغرض منها الوقوف على تلك القوانين والمبادئ التي تحكم التاريخ وتتحكم في صيرورته ولذلك «يمكن القول إن فلسفة التاريخ في أبسط تعريف لها عبارة عن النظر الى الوقائع التاريخية بنظرة فلسفية، ومحاولة معرفة العوامل الأساسية التي تتحكم في سير الوقائع التاريخية، والعمل على استنباط القوانين العالمة الثابتة التي تتطور بموجبها الأمم والدول على مر القرون والأجيال»[12] ، إذ لا تتقصى الفلسفة أحداث التاريخ في ضوء ما حدث وما وقع من أجل تبرير طبيعة الحدث التاريخي وفقط، وإنما هي تبحث وتتساءل في القوانين والعلل القصوى التي تحدد مسار التاريخ.



المنارة للاستشارات
ww

ينطلق فيكو في دارسة التاريخ، من فكرة مثالية متأثرا بأفلاطون، لهذا قال عنه كروتشيه (1866-1952) «**Benedetto Croce:**(فيكو كان من قماشة أفلاطون وليس من قماشة بيكون»[13] ، وهذا ما يبرر حضور التصور الأفلاطوني في دراسة التاريخ، كما لم يبتعد فيكون عن تكوينه المسيحين مما جعل من التفسير الإلهي يضمن له مكانة في هذه الدراسة، وهذا من خلال فكرة " العناية الإلهية" التي ينطلق منها فيكو في تفسير أحداث التاريخ، ولكن ليس كتفسير أوغسطين، بل تفسير يتماشى والنظرة الأفلاطونية حيث يقول:« إن أفلاطون الإلهي يؤكد بإن العناية الإلهية توجه سير الشؤون الإنسانية»[14] ، وفي موضع آخر يشير إلى أن التاريخ أبدين مثالي، حيث تتبع في سيره جميع الأمم، لهذا فإن التاريخ لن يخرج صورة أرضية لمثال أعلى سماوي. نظرة دفعت فيكو إلى تقسيم التاريخ إلى قسمين: مقدسو دنيوي، نفس النظرة الأوغسطينية للتاريخ، حيث يختص الأول بتاريخ اليهود والمسيحيين والثاني يختص بتاريخ باقي الأمم التي يراها وثنية .

يدعو فيكو إلى ضرورة تطبيق المنهج التجريبي في دراسة التاريخ، فالمنهج الرياضي الديكارتي في نظره لا يتوافق وطبيعة الظواهر التاريخية، فالمنهج التجريبي من الممكن أن يقدم لنا نتائج أكثر من مرضية، كما يساعدنا على التنبؤ بالحدوث الظواهر التاريخية. يؤكد فيكو على ضرورة توظيف الفلسفة وفقه اللغة في دراسة التاريخ وهنا مكمن الجدة في العلم الجديد الذي دعا إليه فيكو حيث أن « العلم الجديد يجمع بين الفلسفة وفقه اللغة ويطلب تضامن علماء اللغة والفلاسفة لتحقيقه، ومفهوم علم اللغة لا يقتصر على علماء اللغة والنحو؛ إنما يتسع للمؤرخين والنقاد الذين عكفوا على دراسة لغات الناس وأعمالهم، سواء في ملاحظة عاداتهم وشرائعهم التي يتبنونها في بلادهم، أو في حروبهم وسلاحهم وأحلامهم وتجارتهم وأسفارهم[15] » .

تتقاطع نظرة فيكو لحركة التاريخ مع النظرة الخلدونية بخصوص فكرة الدور الحضاري، حيث يرى فيكو أن التاريخ يسير بحركة لولبية متقدما، حركة تضمن التجدد، حركة تحمل تفتح كل مرحلة على الأخرى كون المرحلة اللاحقة أرقى من السابقة وأكثر تحضرا، لهذا فإن المجتمعات تمر بمراحل من التطور ولكن يحكها التدهور والانحلال والسقوط، وهكذا دواليك، لهذا يقسم فيكو التاريخ إلى ثلاثة مراحل: المرحلة الهمجية، المرحلة البربرية، مرحلة الحضارة يعترف فيكو أنه أخذ فكرة تقسيم التاريخ إلى ثلاثة عهود إلى التقسيم المصري الذين كانوا يقسمون التاريخ إلى عهود وأدوار ثلاثة: دور الآلهة دور . الأبطال، دور البشر[16]

**المرحلة اللاهوتية:** ينسب نشوء الحضارة في هذه المرحلة إلى الدين، حيث يسيطر التفسير الديني على كل تفسير حيث يعلو رجال الدين الهرم المجتمعي ويسيطرون على النظم السياسية وإدارة شؤون الدولة « فالمرحلة الإلهية تتصف بالتأليه واعتبار كل ما في العالم ملكاً للإله، والحكومة نفسها الإلهية لها إرادة آمرة ناهية، وهي تختار من يمثلها على الأرض، وكان الحكم الاستبدادي فيها بيد الكهنة الذين يمثلون رجال الدين بمقتضى قوانين إلاهية يتلقونها عن طريق التنبؤات والتكهنات[17]. »



المنارة للاستشارات

-**مرحلة البطولة:** في هذه المرحلة يظهر أبطال لهم من القدرات الخارطة العظيمة، مما يولد لدى العامة تلك النظرة التقديسية لهؤلاء الأبطال فيصفونهم بصفات الألوهية، أو يجعلون منهم أنصاف آلهة، لهم أدوار عظيمة خلال الحروب، كما يساهمون في تشكيل الدولة وتقوية شوكتها، حتى وإن كانوا مستبدين مستأثرين بالحكم، فكل تقدم ينسب إلى هؤلاء الأبطال العظام، من فلاسفة ومشرعين وحكام، كأفلاطون، ويوليوس قيصر، ولكن الدول لا تبق حبيسة هذا النمط، بل ستدخل وبالتدريج إلى عهد أكثر تطور ورقيا وسيظهر قادة أكثر طموحا[18].

-**مرحلة البشرية:** في هذه المرحلة تتأسس ما يعرف بدولة القانون، حيث يسود القانون على الجميع وفق ما يعرف بالنظام الديمقراطي، لهذا فإننا في هذه المرحلة يتساوى الجميع أمام القانون، ليحصل كل فرد على حقوقه الاجتماعية الطبيعية المشروعة، كل هذا في ظل حكومات شعبية ديمقراطية منتخبة لتحقق المساواة بين أطياف المجتمع النبلاء والعامة، مع ضمان لهذه الأخيرة من المشاركة في الحكم[19].

## 3. المنهج التاريخي عند فيكو:

من المعلوم بالضرورة أن المنهج المعتمد في دراسة أي موضوع أهم من مذهب الفيلسوف أو المفكر في حد ذاته، وهذا ما لم يشذ عنه فيكو في المنهج الذي اعتمده في دراسة المجتمعات البشرية. من المعلوم أن فيكو تأثر بديكارت ولكن تأثرها هذا لم يمنعه من رفض المنهج الرياضي الديكارتي وعدم الاعتماد عليه في دراسة علم التاريخ.

لم يكن المنهج المتبع في دراسة حركة تاريخ الشعوب والأمم عند فيكو وليد لحظة تأثرية بمنهجي الرياضيات والطبيعيات، بل هناك مناهج أخرى كان لها الأثر الكبير في بلورة هذا المنهج الفيكوي، إنه منهج الفيلولوجيا، أو اللغويات. فالدراسات والاشتقاقات اللغوية تساهم كثيرا في فهم نمط حياة وأسلوب تفكير الشعوب، من خلال الأثر المادي واللامادي الشفوي، فاللغة مسكن الكائن البشري، من خلالها يحفظ وجودها. فلفهم حياة الشعوب ونمط تفكيرها يستوجب فهم لغتهم مع تتبع تطورها عبر العصور[20] .

من المعروف أن تاريخية تطور اللغة تثبت أن الإنسان قبل اختراع اللغة كتن يعيش في مرحلة التوحش، لهذا يتوجب علينا اقامة تلك العلاقة التوافقية بين اللغة والفلسفة حسب فيكو، أو بين الأدلة اللغوية و البراهين الفلسفية، حيث يبدأ « بالأدلة الفلسفية ثم يتبعها بالأدلة اللغوية لتكون أدلة واقعية تؤيد الأدلة التي اهتدى إليها بالتأمل والتفكير» [21].

فمن غير المنطق القول أن المجتمعات البشرية ظهرت عاقلة ومنظمة هكذا من غير مرحلية تاريخية تبلور ظهور الوعي والتنظيم في هذه المجتمعات، لذا يؤكد فيكو على المراحل الثلاثة التي مرت



المنارة للاستشارات
ww

بها البشرية من مرحلة التوحش التي فرضت على هذا الإنسان انتاج فكرة الآلهة حتى تحد من توحشه وسطوته، او ما يعرف بفكرة العناية الإلهية، لذا سنجد هذه الفكرة متمركزة كثيرا في المجتمعات من خلال التراث الشعري الغنائي الصوفي.

تعتبر فكرة الارتباط بين فقه اللغة والفلسفة، وهذا ما اعتمده فيكو في منهجه من خلال دراسة تراث مصر القديمة والرومان واليونان. كما يؤكد فيكو على فكرة بعد آخر وهذي فكرة العناية الإلهية التي يقسمها إلى قسمين: العناية الإلهية المباشرة، والعناية الإلهية الكامنة في التاريخ. فإذا كانت الأولى تقتصر على شعب الله المختار، فإن الثانية تعمل وفق قوانين ومبادئ موحدة بين الشعوب منها العادات والتقاليد الشعبية[22] ، التي تعتبر الذاكرة الحية للمجتمعات، ولا تحفظ هذه التقاليد والممارسات المتوارثة إلا من خلال لغة مكتوبة أو منطوقة، تستوجب البحث والنقد وفق المنطق الفلسفية، حيث يكون بإمكاننا وفق فقه اللغة والأدلة الفلسفية فهم سبل تطور المجتمعات وحركتها.

يؤمن فيكو أن التاريخ هو صناعة بشرية بامتياز، لذى فلا يمكن فهمه- التاريخ- إلا من طرف الإنسان في حد ذاته، كما أنه من غير فهم هذه التطور التاريخي مفصلاً ، أو بمعنى آخر فهمه على شكل ذوات منفصلة في المجتمع، بل على العكس من ذلك ضرورة فهم هذا التاريخ داخل المجتمع ككتلة واحدة تتحرك وفق ضمير جمعي واحد حسب تعبير دوركايم.

ومن العناصر التي يقوم عليها المنهج الفيكوي، ما يسميه في كتابه العلم الجديد، الكمة الشعرية، فالشعراء من أمثال هوميروس، والتراجيديون اليونان، لم يكونوا مجرد شعراء فقط، بل كانوا اصحاب معرفة ودين واخلاق وسلوك، ومرشدين للحياة العملية للشعوب[23].

يقسم فيكو الحكمة الشعرية إلى قسمين: «الميتافيزيقا وهي الجذع الذي يخرج منه المنطق والأخلاق و الاقتصاد والسياسة والتاريخ، والقسم الثاني الفيزيقا وهي التي تخرج منها الكونيات و الفلك والتواريخ والجغرافيا»[24] . فالشعراء ومن خلال لغتهم الشعرية الفنية تحمل في طياتها تاريخ طويل للشعوب في مختلف جوانب الحياة اليومية من معاملات تجارية وسياسية وحتى طقوسية دينية خاصة ترانيم الدفن.

## 4. خاتمة:

من خلال ما سبق ذكره يمكننا القول أن فيكو جعل من تطور الشعوب ، كالكائن العضوي فإن جسم الإنسان له واقعيته المادية المحسوسة، حيث جعل من فكرة حول العناية الإلهية المرحلة المهمة في هذا التطور دون أن يغفل المنهج الضروري في هذا العلم الجديد الذي اسس له، وهو المنهج العلمي يقصي الجانب الميتافيزيقي والغيبي في تفسير الظواهر العلمية .فالعلوم تعتمد على الحس والمشاهدة والتجربة ،وهنا يتناقض فيكو في تقسيمه للتاريخ، حيث بالرغم من هذا المنهج أنه ابقى الفكر الميتافيزيقي في هذا العلم الجديد.



المنارة للاستشارات
ww

يركز فيكو في دراسته للتاريخ، على تصوره لما رآه وسمعه من خلال المصادر التاريخية في ولكن واقع الحال يؤكد عكس ذلك، فالمنهج العلمي يستوجب خطوات المنهج العلمي الملاحظة والفرضية والتجربة والاستنتاج، وهذا ما يفتقر له المنهج الفيكوي.

كما نلمس تأثر فيكو بالتاريخ اليهودي وما ورد في الكتاب المقدس للعبرانيين، وعدّه أن تاريخ العهد القديم هو الحضارة والإبداع وتقليله من شأن الحضارات الشرقية القديمة كالمصرية والبابلية، وهنا لم يشذ عن الموقف الهيغلي عندما حط من الحضارات الشرقية القديمة، لذا جاءت فلسفة فيكو التاريخية ذات طابه ديني اكثر منها علمي وإن حاول اضفاء الصبغة العلمية عليها.

لم يبتعد فيكو كثيرا عن فكرة الدور الحضاري التي جاءت مع ابن خلدون، وهذا من خلال التقسيم الثلاثي لحركة المجتمعات، وتشبيهها بنمو الكائن البشري، ولكن بالرغم من كل ذلك فغن فيكو عمل على التأسيس علم يكون قادرا على فهم حركة نمو وتطور الوعي في المجتمعات وفهم الديناميكية التي تتحرك وفقها المجتمعات. فالإنسان صانع التاريخ، وهو الوحيد القادر على فهمه.

أراد فيكو أن يصبغ منهجه التاريخي بصبغة علمية، حيث جعل من الحركة اللولبية التي يسلكها التاريخ، حيث ينتقل من مرحلة إلى اخرى مع ضرورة الوعي بهذه الحركة التقدمية، فهي التي ستنتقل بالمجتمع من مرحلة إلى اخرى أكثر تقدما وتطوراً، وهذا لا ينفك عن وجود أشخاص مهمين في هذه الحركة.

## 5. قائمة المراجع:


1- حسن حنفي، دراسات فلسفية الجزء الثاني: في الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، د ط، 2020، ص123.
2- المرجع نفسه، ص123.
3- عطيات أبو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1997، د ط، ص45.
4- ماركس هوركهايمر، بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية، ترجمة محمد علي اليوسفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2006، ص80.
5- المصدر نفسه، ص80.
6- أحمد محمود صبحي، "في فلسفة التاريخ"، مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية"، مصر، د ط،1985، ص155.
7- إميل برهييه، تاريخ الفلسفة: القرن الثامن عشر، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1983، ص80.
8- عطيات أبو السعود، مرجع سابق، ص85.
9- المرجع نفسه، ص48-47.
10- أحمد محمود صبحي، مرجع سابق، ص 157-156.
11- المرجع نفسه، ص33
12- جاسم سلطان، "فلسفة التاريخ، الفكر الإستراتيجي في فهم التاريخ"، دار أم القرى، ط4، 2010، ص22.
13- ويد جيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، ترجمة ذوقان قرقوط، دار القلم، بيروت، الطبعة الثانية، 1972، ص194.
14- المرجع السابق، ص194.
15- عطيات أبو السعود، مرجع سابق، ص50.
16- ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، بيروت، 1967، د ط، ص 182.




المنارة للاستشارات
ww

17- عطيات أبو السعود، ص92-91.
18- محسن محمد حسين، طبيعة المعرفة التاريخية وفلسفة التاريخ، مؤسسة موكرياني للدراسات والنشر، أربيل، الطبعة الأولى، 2012، ص78.
19- عطيات أبو السعود، ص96.
20- عطيات أبو السعود، ص81.
21- المرجع نفسه، ص81.
22- المرجع السابق، ص83.
23- حسن حنفي، دراسات في الفلسفة الغربية، الجزء الثاني، ص147.
24- المرجع نفسه، ص148 .



المنارة للاستشارات
ww